

أغصان العطاء، وترانيم السخاء للمُهندس: عبد الله بن عبد المُحسن الشايب

الخُطوات تختال في مشيتها وأراضيها، والذاكرة تستزيد بطاقتها ومآقيها، والآفاق تستكثر من رجالها ونواحيها.. وكيف بي الآن وأنا أشتُم الأنفاس؛ وأُدوزن الإحساس؛ بين أروقة مبناه وكُنه عطياه؟

قبل ثلاثة عشر سنة على وجه التحديد، أخذت أتعكز على مسير دربه، وأتأمل سريره، ومعاني ركه، بين هذا وذاك..

نعم، الأغلب يُردد بين طيات لسانه: "شكلك تعرف أبو إيسع"؟!

كان اسمه وما يزال يتمرجح فوق شُجيرات الليمون، وفتنة شفاه الرمان، ولا أنس ثمار الموسم، وُدُمن الميسم.. فهل للتمر شارة وإشارة؛ أم للنخيل بغية ومهارة؟

حين تتحدث عن الأحساء سوف تجد ثغره ومناره، وساعة مزج الطين، ستري روحه بعمارته..

أجل، بعد أن تتابعَت المواقع والمُندييات ذات عُمُرٍ مُنصرم.. تراهنت الآمال والمقامات على تلك السيرة والمسيرة.. فذهبت إليه لأستشيرَه في ذلك الوقت لطباعة مسوِّدة إصداري الأول "سيمفونية الكلمة"..

كان درج مبنى مكتبه الهندسي القديم مُلتوٍ ليسار، بتعاقب المرحلة والاستراحة.. إلى أن تقف أمام بوابة هندسة استشاراته الزجاجي الشفاف.. لتحار نواظرك حينها إلى أيِّ الجهات أسير/ تسير!

دخلت المكتب، وكان في استقبالي مضياف المكان من الجنسية الشرق آسيوية، ولعله من الجالية الهندية.. حيث لحيته كثيفة وبيضاء، ويتسم عليه الهدوء والسكينة..

أنا: السلام عليكم صديق

هو: وعليكم السلام ورحمة الله

أنا: مهندس عبد الله موجود

هو: تفضل هو يشوف مهندس داخل ويجي..

دخلت مكتبه الخاص يمينا، وبه طاولة كبيرة، وعليها غثرته البيضاء، وعقاله الأسود، (والقحفية المٌشخلة)، وحاسبه الآلي، ووريقات مُتفرقة الألوان.. وتحوم حول أعواد الكراسي مٌخيلة العصافير، ورائحة العراق تشتمها من بين الكتب المٌتناثرة من على تلك "الماسة" المتوسطة بالمكان، وزغب الملائكة المٌتناثر لفيض ذاك الزمان..

سُويغات قليلة ومعدودة، وإذا به يدخل عليّ حاسر الرأس معذراً عن التأخير بالسلام وجمال المرام!

أخذت أعرفه عن نفسي، وفي نبرة صوتي هفوات الارتباك، ولم يحرز كسر الجمود إلا بالاسترسال لمديحه.. فأجابني على وجه الاختصار: "أنا أقل مما ذكرت!"

حماستي عن كتابي كانت واضحة، فزادها حماسةً بكثافة تشجيعه وتوزيعه بالابتسامات.. حتى صيرني مني إليه!

خرجت من عنده وكلني طاقة وإرادة، إلى أن طبعت الإصدار البكر بتعداد (2500 نسخة).. بإسلوبٍ مٌغايرٍ، وغير معهودٍ على الساحة.. من ناحية العدد وتصنيف المضمون.. حيث أن أغلب (الكتاب، والشعراء، والأدباء) إلى الآن على أكثر تقديرٍ يطبع الواحد منهم (1000 نسخة) لأي إصدارٍ بحوزته..

على كل حالٍ، لم يكتفِ المٌهندس بهذا وحسب، فقد اشترى من عندي كمية كبيرة من هذا المٌنتج، وبالسعر الذي أردته، دون جدال أو فصال!

وبعد ثلاثة أيامٍ على الكمال والتمام، اتصل بي ثلاثة من أرباب السير، واعتقد أهل التوثيق والتأريخ يعرفوا مكانهم جيداً..

— شيخ المؤرخين المرحوم: جواد بن حسين الرمضان

— المؤرخ الشيخ: حبيب آل جميع من القطيف

الأستاذ: أحمد بن عبد المحسن البدر

وكل واحدٍ منهم يقول: وصلني كتابك من "أبو اليسع"، واتصالنا بك نطلب سيرتك الذاتية!

حتى زاد كرم المهندس على الأغلب، بحسه للمسؤولية الثقافية، والفكرية، والتخصصية، والمعمارية، والفنية، والتراثية.. والقريب لصُحبته يُدرك ذلك من بداية العام الهجري 1400هـ وإلى اليوم 1441هـ..

هذا بخلاف تعريفي والذهاب معي لمنزل الأستاذ الأديب: مُبارك بو بشيت بالطرف، ومنزل الأستاذ الدكتور: أحمد اللويحي بالقارة وغيرهم الكثير الكثير..

نعم، لم تنحصر الجزالة لهذا، فأغلب كُتّاب الأحساء دعمهم ولا يزال إلى يومنا هذا.. سواءً بشراء إصداراتهم، أو تكفل مُنتجاتهم بكامل مواردها ومشاربها؛ وإن كان البعض منهم وربما أكثرهم يقدر ويستطيع على طباعة مضامينه وتصميمه! ولكن مثلما يقولون: من يحمل هم الرسالة، يُبدع في الفكرة والوسيلة..

فأيُّ حسٍّ ورثتك الباسقات شموخها؛ وأيُّ وجهٍ رأتك العيون سنامها؛ فهل تخجل الأنامل من تذكّار اسمك، أم تطرب النفوس من تعاريف رسمك.. أيها الأب المُربي، والصديق المُعبي، والشريك الوافي في ضمير أُرقة مقام الجُبيل؟

بلى، إنه الحاضر بين أضلاع الفسائل، والريحان في اخضرار الفصائل.. والدائم القول والسند: "أرى نفسي فيكم بالحب والإكبار يا شباب المُستقبل"..

فسلام الله عليك أيها البحر الهجري، والمُنظر الفخري سعادة المهندس: عبد الله بن عبد المُحسن الشايب